

الشرقية ، فقد ينفر بعض الناس من الجديد ما لم تكن له جذور قديمة ، وقد يقارن البعض الآخر بين العادات الشرقية والغربية مستهجنًا كل ما هو شرقي ، وتلك هي طبيعة الناس في عصور التقاء الحضارات ، أو ذلك هو « قانون تلاقى المدنيتين » (١) . فالواقع أن الربع الأخير من القرن الماضي بالذات قد شهد حدثين كبيرين أولهما انتشار المطبعة العربية وما أعقب ذلك من حركة الطباعة الهائلة التي التفتت إلى التراث ونشرت أمهات كتب الأدب ودواوين الشعر ، ثم ظهور الصحف العربية والدوريات وعلى الأخص «الهلل والمقتطف» . وقد حرصت هذه الدوريات على نقل كثير من المعارف الغربية والفكر الغربي ، ولعبت دورا كبيرا في تصوير الحضارة الغربية بصورة محبة إلى الشرقيين . أما الأمر الثاني فهو الاحتلال وما أعقبه أيضا من محاولات للتطوير - لا للتطور - وتدويب القيم الإسلامية وإحلال القيم الغربية بدلا منها ، ومهاجمة الدين نفسه واللغة العربية الفصحى . وهكذا دخلت الحضارة الغربية بمحاسنها ومساوئها في صراع عنيف مع الحضارة الشرقية الموروثة ، وكان لابد أن ينقسم الناس على أنفسهم إزاءها . فهناك فريق اندفع مع الجديد لا يبقى على شيء ، وفترت صلاته بالحياة الشرقية ، واقترب في ذهنه حاضر الشرق الضعيف بتقاليده الموروثة ، فراح ينادى بوجوب الأخذ بالحضارة الفنية الغازية في كل صورها كما قلنا ، وهناك فريق آخر زاده هذا الغزو الغربي تمسكا بتقاليده وقيمه الموروثة ورأى أن تقليد الغربيين سوف يفقد الأمة احساسها بشخصيتها فلا ينبغي إذن أن تقوم نهضتنا إلا على جذور من قيمنا وتقاليدنا وديننا . أما الفريق الثالث فهو الذي وقف حائرا بين

(١) عبارات أدبسية بين الشرق والغرب (راجع الفصل الخاص بقانون تلاقى المدنيتين) .